

اللغة العربية وأثرها في بناء وصياغة الهوية الوطنية للشعب التشادي..

أستاذ مشارك - أكاديمية الشرق - ابشة
جمهورية تشاد

د. الطيب إدريس حلولو

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة موضوع اللغة العربية وأثرها في بناء وصياغة لهوية الوطنية للشعب التشادي ويهدف هذا البحث التعرف على الجذور التاريخية للغة العربية في تشاد، وتوضيح وبيان العلاقة التي تربط بين الهوية الوطنية واللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في تشاد، وتلمس المسببات والعوائق التي حالت دون تصدرها للهوية الوطنية التشادية، وبيان قوة تأثيرها على حياة الشعب التشادي، باعتبار أن اللغة العربية تعد ممثلة للثقافة والفكر والحياة في المجتمع التشادي، وقد نهج الباحث في بحثه المنهج التاريخي النقدي والمنهج الوصفي التحليلي والجمع بينهما في الدراسة، لإظهار الأثر الإيجابي والحضاري للغة العربية في المجتمع التشادي ومساهمتها في بناء الهوية الوطنية والثقافية والحضارية للأمة التشادية. وقد توصل البحث إلى العديد من النتائج المهمة التي أدرجها الباحث في خاتمة بحثه ومن أهمها: أن فهم الهوية الحقيقية لا تكمن في الإقصاء والجمود والإحلال بل يكمن في المزج والتوفيق والانسجام والتواصل بين المكونات المختلفة للهوية الوطنية التشادية، ومن أهم عناصرها اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الهوية، مكونات الهوية، عوامل تكوين الهوية بناء علاقات الشعب التشادي الداخلية والخارجية.

Abstract:

This study dealt with the subject of the Arabic language and its impact on the building of Chadian people's national identity. This paper aims to shed lights at the historic roots of the Arabic language in Chad, the emphasis and explanation of the relation between the Chadian national identity, and the Arabic language, also the Arabic – Islamic civilization. An attempt to understand the causes and the blockage that impeach this language to be the principal vehicle of Chadian national identity is made No doubt

that, the Arabic language has a great impact and influence on the life of Chadian people, considering that Arabic language represents the Chadian culture and thought. The study utilized the historical – critical method, and descriptive-analytical method to show the positive impact of Arabic language in Chadian society, and its contribution on the building of Chadian people's national identity. The study concluded to several results, stated in the conclusion of the paper such as: understanding of actual national identity does not reside in the exclusion, stagnation, immobility and blockage, but resides in the mixing, combination, assimilation and relationship between the different components of the society. The essential earlier of these in the context of Chad is Arabic language.

Key words: national identity, Chadian society, culture, Arabic language, component of national identity.

مقدمة:

إن هذا البحث يتناول موضوع اللغة العربية في تشاد وعلاقتها بالهوية الوطنية وبناء علاقات الشعب التشادي الداخلية والخارجية، هو بحث يركز بالخصوص وبالتحليل والمناقشة العلمية الهادفة عن هموم وتطلعات وآمال الإنسان التشادي، وعن مرجعيته الحضارية والثقافية والاجتماعية والعقدية والإنسانية، ولعل تناول مثل هذه الموضوع في ظل واقع دولة أفريقية تقع في وسط أفريقيا يطرح عدة تساؤلات من قبل الباحثين، ولكننا نقول وبعبارة بسيطة أن الثقافة العربية الإسلامية في تشاد وجدت طريقها إلى المجتمع التشادي من خلال الهجرات العربية، والقوافل التجارية، وحركة الدعاة السلمية، والسلوك الحسن والأخلاق الفاضلة التي اتصف بها حملة الدعوة واللغة والثقافة والحضارة، والتصاهر الاجتماعي، والتي أدت إلى رسوخ الإسلام واللغة العربية في نفوس الشاديين.

لقد شهدت منطقة حوض بحيرة تشاد منذ قرون ازدهار ممالك وسلطنات عديدة قبل الإسلام وبعده، كانت تفتخر بانتسابها إلى العروبة وتشير الوثائق المحلية، بل وبعض القبائل الموجودة في تشاد أنها تنتمي إلى القبائل اليمنية الحميرية التي هاجرت إلى تشاد بعد انهيار سد مأرب وتسمى نفسها وقبائلها بأنهم أبناء سيف بن ذي يزن بل ويضعون على نوقهم وجمالهم سيفاً كسيمة تميزهم عن بقية القبائل التشادية، ثم قامت الممالك الإسلامية

بدءاً بكانم التي أعلنت أنها دولة إسلامية عام 1200م وتبعته ممالك إسلامية صرفة هي: ودايوباقرمى وكل هذه الممالك أكدت انتماءها إلى العربية وإلى البيت القرشي الشريف. وانطلاقاً من ذلك فقد اتخذت هذه الممالك من اللغة العربية لغة رسمية لها في مراسلاتها ومعاملاتها الإدارية والتعليمية والسياسية والقضائية والتجارية، وشكلت بذلك المظهر الحضاري في مجال العلم والثقافة والمعرفة والهوية بل والمساهمة في تشكيل وتكوين الهوية الحضارية والثقافية والاجتماعية للإنسان التشادي.

تعد الهوية وبالذات الهوية العرقية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الحضارية والتي يحملها الإنسان دون اختيار مسبق منه، وهذه الهوية هي التي من خلالها يتعرف الإنسان على ماهيته. وقد شكلت الثقافة العربية في تشاد الهوية الاجتماعية والثقافية لمعظم القبائل التشادية، حيث أصبح عندنا ثنائي ثقافي وعرقي فعندما يسأل أحد الشاديين من أي قبيلة أنت فيقول أنا من زغاوة عرب أو أنا من برنو عرب أو أنا من بلالة عرب وهكذا إذن أن معظم المجتمع مستعرب ولديه انتماء تجاه الهوية العربية بجانبها الاجتماعي والثقافي.

لقد وجدت الثقافة العربية في تشاد مكانها الطبيعي في داخل البناء الثقافي والاجتماعي والحضاري والاقتصادي والسياسي وتوطدت جذورها وانصهرت جميع المكونات الثقافية المحلية ضمن المكون الثقافي العربي وبذلك تكونت عندنا شخصية حضارية وفكرية وثقافية واحدة ضمن السياق العربي الأفريقي بأبعاده المحلية والحضارية المتنوعة.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في بيان وتوضيح العلاقة الترابطية الواضحة بين الهوية الوطنية واللغة العربية في تشاد، وضرورة عرض للحقائق التاريخية التي تؤكد انتماء الشعب التشادي حضارياً وثقافياً للهوية العربية الثقافية والحضارية من خلال تبنيه للغة العربية كلغة رسمية للدولة التشادية إلى جانب اللغة الفرنسية باعتبار أن اللغة العربية لغة التواصل والتفاهم بين جميع مكونات الشعب التشادي.

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث باعتباره من البحوث القليلة التي تحاول أن تبين دور اللغة العربية في بناء الهوية الوطنية التشادية وتتمثل أهمية هذا البحث في الآتي:

- قلة الدراسات التي تتناول مثل هذه القضايا نظراً لبعدها الإقليمي

- عن الساحة الحضارية للأمة العربية والتي تؤكد مثل هذا الأثر الحضاري للغة العربية في المجتمع الأفريقي التشادي.
- إلقاء الضوء على هذا الموضوع وبيان دور وأثر اللغة العربية في الحياة العامة في المجتمع التشادي.
- تبرز أهمية هذا الموضوع من كونه يعالج قضية حضارية واجتماعية وثقافية وإنسانية باعتبار أن اللغة العربية تعد ممثلة للثقافة والفكر والحياة في المجتمع.
- ومما يعطى هذه الدراسة أهميتها وطابعها الأصلي: أنها ركزت على إبراز جوانب الهوية في ظل واقع دولة أفريقية تقع في وسط أفريقيا، وكيف أسهمت اللغة العربية في ظل هذا الواقع الثقافي الأفريقي الإحيائي في تشكيل وتكوين الهوية الوطنية للشعب التشادي، وإبراز للجوانب الإيجابية والمهمة للدور الحضاري والاجتماعي والإنساني للغة العربية في المجتمع التشادي.

أسباب اختيار البحث:

إن سبب اختيار هذا الموضوع يرجع إلى إبراز أثر اللغة العربية في واقع حياة المجتمع التشادي وفي بناء الهوية الوطنية وفي تكوين الشخصية الوطنية والثقافية والاجتماعية والعقدية والإنسانية للأمة التشادية.

أهداف البحث:

- يهدف هذا البحث إلى تحقيق الآتي:
- التعرف على الجذور التاريخية للغة العربية في تشاد.
- الكشف عن العلاقة التي تربط بين الهوية والمكونات الثقافية للأمة التشادية.
- التعرف على دور اللغة العربية كأداة للتواصل الاجتماعي والثقافي والتجاري والتعليمي والسياسي في تشاد.

فرضية البحث:

في هذا البحث طرحنا الفرضية التالية: هناك تأثير ايجابي ومؤثر للغة العربية في واقع حياة المجتمع، وفي تكوين البناء الثقافي والاجتماعي والحضاري والاقتصادي والسياسي وفي بناء علاقات الشعب التشادي الداخلية والخارجية.

أسئلة البحث:

- يسعى البحث إلى الإجابة على الأسئلة التالية:
- ما الهوية وما علاقتها بالهوية الثقافية للأمة التشادية؟
- ما دور اللغة العربية في تشاد في بناء وصياغة وتشكيل الهوية الوطنية للشعب التشادي؟

- ما الاتجاهات العامة في تشاد لدراسة الهوية؟
- ما المكونات التي تتكون منها الهوية الوطنية التشادية؟
- ما السبيل لتعميق وتعزيز قيم الثقافة العربية في تشاد المعاصرة؟

منهج البحث:

من أجل بلوغ أهداف البحث والإجابة عن الأسئلة المطروحة والتحقق منها فقد استخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي الذي يركز على دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل.

أدوات البحث:

- الملاحظة الدقيقة.
- الروايات الشفوية.
- المقابلات الشخصية.
- الوثائق.
- المصادر والمراجع.
- الدوريات والمجلات العلمية المحكمة.
- البرامج الإذاعية والتلفزيونية.
- الشبكة العنكبوتية.

حدود البحث:

في إطار حدود البحث فإن الحدود الموضوعية والمكانية للبحث هي: فالحدود الموضوعية لهذا البحث: تتلخص حدود البحث الموضوعية في دور اللغة العربية وأثرها في بناء الهوية الثقافية والحضارية والوطنية للشعب التشادي. أما الحدود المكانية فجمهورية تشاد والشعب التشادي ومكوناته الثقافية والحضارية والدينية.

وقد تم تناول الموضوع من خلال خمسة محاور أساسية:
المحور الأول: البعد التاريخي والحضاري للغة العربية في تشاد.
المحور الثاني: مفهوم الهوية الوطنية للشعب التشادي.
المحور الثالث: عوامل بناء الهوية الوطنية التشادية.
المحور الرابع: مكونات الهوية الوطنية التشادية.
المحور الخامس: اللغة العربية وأثرها في صياغة الهوية الوطنية، وفي بناء علاقات الشعب التشادي الداخلية والخارجية.

المحور الأول:

البعد التاريخي والحضاري للغة العربية في تشاد:

مثلت اللغة العربية أهمية بالغة في واقع حياة الشعب التشادي من خلال رسوخ الإسلام وثقافته وحضارته في نفوس الشاديين، حيث شهدت منطقة بحيرة تشاد منذ أمد بعيد قيام ممالك عديدة قبيل الإسلام وبعده وبالذات المالك الإسلامية العربية التي أقيمت في تشاد وهي: (مملكة كانم - برنو، ومملكة باقرمي، ومملكة وداي العباسية) وقد اتخذت هذه الممالك المذكورة اللغة العربية لغة رسمية لها في مراسلاتها ومعاملاتها الإدارية والسياسية والقضائية والتجارية والتعليمية، وشكلت بذلك مظهر حضاري رائع وظهر ذلك جلياً في مجال العلم والمعرفة والثقافة وكان لهذا الجهود الحضاري الكبير الأثر في تحقيق التنمية الثقافية والحضارية والاجتماعية والاقتصادية في واقع المجتمع التشادي⁽¹⁾.

إن لموقع تشاد الجغرافي في قلب القارة الأفريقية وقربها من مناطق الإشعاع الحضاري والثقافي في كل من مصر والسودان وطرابلس، كل ذلك أدى إلى إيجاد واقع ثقافي وسياسي متفرد في تشاد وأكسب الثقافة التشادية بعداً مهماً باعتبار أن هذا التنوع الثقافي أصبح أداة للتلاقح الثقافي والحضاري بين مختلف مكونات الثقافة في تشاد، وأدى في النهاية إلى إيجاد احتياجات ثقافية متنوعة في إطار التطور المحوظ للثقافة العربية في تشاد⁽²⁾.

ظلت منطقة حوض بحيرة تشاد عبر العصور ترتبط بعلاقات وطيدة مع شمال القارة وشرقها وغربها من خلال طرق القوافل التي تعبرها مما ساعد على فك عزلة تشاد عن العالم الخارجي، كما ساهمت تلك الطرق في تنمية الحياة الثقافية والتعليمية والسياسية والاقتصادية، ونظراً لهذا الموقع فقد مثلت منطقة تشاد نقطة التقاء بين مختلف مناطق أفريقيا الغربية والجنوبية والشمالية والشرقية.

لقد مثلت تشاد المعبر الأساسي لأفريقيا فعبر صحاريها ومرتفعاتها ومداخلها تدخل القوافل التجارية والدعوية والتعليمية مناطق القارة الأفريقية مما جعلها منطقة جذب لجميع الشعوب والأقليات والأعراق التي كانت تعبرها ويطيب لها العيش فتسكنها، فكانت تشاد في مجملها بوثقه ضخمة لصهر الأعراق والثقافات والتي شكلت ميراثاً حضارياً وثقافياً واجتماعياً للأمة التشادية⁽³⁾.

تعد اللغة العربية في تشاد إحدى المكونات الأساسية في البناء الثقافي والاجتماعي والحضاري والإنساني للشعب التشادي. ولذا فإن الحديث عن

الهوية الوطنية في تشاد لا بد أن يرتبط ارتباطاً عضوياً وحضارياً بالثقافة العربية وأثرها في بناء الهوية الحضارية للشعب التشادي، وفي تعزيز علاقاته الداخلية والخارجية.

إن تشاد معروفة في منطقة السودان الأوسط بسبقها في الإسلام الذي عرفته منذ القرون الأولى في دخوله إلى منطقة شمال أفريقيا ومعروفة كذلك بسبقها في إقامة أول مملكة إسلامية في المنطقة وهي مملكة كانم الإسلامية، ونشطت بذلك حركة الثقافة الإسلامية والعربية، وتعمقت صلات تشاد بالعالم العربي والإسلامي في ظل هدى الإسلام وثقافته وفتحت الباب أمام الهجرات العربية والإسلامية الكثيفة إلى دخول تشاد وانتشارهم في مختلف أقاليم ومناطق تشاد، مما أسهم في انتشار اللغة العربية وثقافتها وحضارتها، وشكلت بذلك اللغة العربية أداة للاتصال والتواصل والمعاملات بين جميع فئات المجتمع التشادي، في الأسواق والبيع والشراء والسفر والقضاء والتحاوور، الأمر الذي ساعد في تعميق اللغة العربية في نفوس التشاديين باعتبارها تمثل لهم لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ولغة العبادة والثقافة والحضارة. بدأت اللغة العربية وثقافتها حواراً ثقافياً وتعايشاً اجتماعياً وإنسانياً وتسامحاً حضارياً منقطع النظير مع اللهجات واللغات المحلية والتي آخى الإسلام بينها وبين العربية، واستعارت تلك اللهجات واللغات المحلية قدراً وافياً من مفردات اللغة العربية فأكسبها بذلك بعداً حضارياً جديداً للثقافات المحلية⁽⁴⁾.

لقد وجدت الثقافة العربية في تشاد مكانتها الطبيعية في داخل المنظومة الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية للأمة التشادية، وتوطدت جذورها وانصهرت مع التكوين الثقافي المحلي ضمن المنظومة الثقافية العربية الإسلامية وتكونت بذلك هوية ثقافية وحضارية واحدة ضمن السياق العربي الأفريقي بأبعاده الحضارية المتنوعة⁽⁵⁾.

إن للثقافة العربية خصائص عدة رافقت مسيرتها الحضارية والإنسانية عبر العصور المختلفة، مما منحها الاستمرارية والقدرة على الإسهام الإيجابي في إغناء التراثين التشادي المحلي والأفريقي، وهذه الخصائص هي خصائص الأصالة والخصوصية الفكرية والدينية والحضارية المتفردة للثقافة العربية مما جعلها تشكل جسر تواصل وعطاء وانسجام بين الثقافة الأفريقية المحلية وبين الثقافة العربية الإسلامية. مثل هذا التزاوج الحضاري والثقافي والاجتماعي والإنساني هو الذي أسهم في تشكيل وتكوين البناء الحضاري والثقافي والاجتماعي للهوية الوطنية في تشاد⁽⁶⁾.

إن الثقافة العربية الإسلامية كانت على الدوام ذات صفة حضارية وإنسانية وكونية تقوم على قيم تتصف بسمه الشمول والتكامل والتنوع، مما منحها القدرة على التفاعل الإيجابي والاستيعاب السلس للثقافات المحلية، دون فقدانها لأصالتها الحضارية المتفردة. فهي بوتقة إنسانية قادرة على العطاء والتفاعل مع كل الثقافات والحضارات⁽⁷⁾. وتجدر الإشارة إلى تلك الخاصية التي تنفرد بها اللغة العربية وهي تلازمها والإسلام أو ما يمكن أن يطلق عليه بالوحدة اللغوية الدينية التي تتجلى في مستويين أساسيين هما: المستوى الفردي، والمستوى الاجتماعي الثقافي.

فعلى المستوى الفردي فإن اللغة العربية هي لغة العبادة اليومية، ومعرفتها أمر يحتمه أداء العبادات والشعائر الدينية. أما على المستوى الاجتماعي الثقافي، فيبلغ تأثير اللغة العربية في المجتمع التشادي الذي عرف بالتعددية اللغوية إن اتخذ هذا المجتمع اللغة العربية كلغة تخاطب مشتركة للتفاهم فيما بين مكوناته المتنوعة، بل أضحت لغة تعبر عن التراث الشعبي للمجتمع. فقد كان للغة العربية دورها قبيل الزحف الاستعماري إلى تشاد، حيث كانت لغة الحكم والإدارة والقضاء والتجارة والتعليم والثقافة والعلاقات الخارجية في الممالك الإسلامية التشادية⁽⁸⁾. ويهمنا في هذا الإطار أن نشير إلى هذه القضية الحضارية، وهو أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتعبد أتباعه بلغة واحدة مما خلق نوعاً من الانسجام والتآلف والتراحم بين أتباعه⁽⁹⁾.

المحور الثاني:

مفهوم الهوية الوطنية:

غدا مفهوم الهوية من المفاهيم الواسعة الانتشار إذ يكثر تناوله في الأبحاث والحلقات والمحافل العلمية المختلفة، حتى أصبح واحداً من أهم القضايا الأساسية المثارة في عالمنا المعاصر. ويتسع مفهوم الهوية والانتماء ليشمل كل ما هو ثقافي وتاريخي ونفسي واجتماعي وأنتروبولوجي، ومحاولة الاقتراب من أي بعد من هذه الأبعاد تستلزم أن يقوم الباحث بأدوار عالم النفس وعالم الاجتماع وعالم الأنثروبولوجيا، والتاريخ، وأخيراً علم السياسة⁽¹⁰⁾. إن أزمة الهوية الوطنية ارتبطت بجملة من المتغيرات الحضارية والاقتصادية والسياسية في عصرنا الحاضر، بما يتضمنه من الولاءات الإقليمية والقبلية والثقافية، وصاحب هذا التغيرات ضعف مجتمعاتنا في صهر تلك الانتماءات في بوتقة الولاء الوطني أو القومي، ولكن ليست هذه هي المشكلة، ولكن القضية الحقيقية التي تكونت وراء الهوية هو أن الصراع في جوهره بين الثقافات الوطنية والثقافات الأجنبية الوافدة، بين الذات الوطنية والسيطرة

الأجنبية، وأن عدم وحدة الثقافة بين أفراد المجتمع / والتباين العرقي والاختلاف الديني، يؤدي إلى حدوث صراع بين مكونات المجتمع ويمثل تحدياً خطيراً لمدى الارتباط بالقيم والمثل داخل المجتمع نفسه. ولا بد لنا أن نتساءل في هذا البحث حول ماهية الهوية؟، هل هوية الأمة هي ما تعرفه عن ذاتها؟ أو ما تتمنى أن تصير إليه؟، ومن يعرف الهوية في الأمة؟، الطبقة، السلطة، النخبة، الأجهزة العرفية التقليدية. وعليه يمكن أن نناقش موضوع الهوية من خلال المحددات التالية⁽¹¹⁾:

المحدد الأول: مفهوم الهوية من المنظور النفسي:

لقد تناولت الدراسات في مجال علم النفس مفهوم الهوية بصورة واسعة وغير دقيقة، ويقدم فرويد نموذجاً بنيوياً للشخصية مكوناً من ثلاثة مستويات وهي: الهو والأنا والأنا الأعلى، وكأننا أمام نظام للهوية الفردية ويقودنا هذا المفهوم على أن الهوية: تعنى أدراك الفرد لذاته أمام الآخرين في الجماعة، بمعنى كيف أقدم نفسي للآخرين؟ وكيف يقدم الآخرون أنفسهم إلي؟. وينظر بعض الباحثين في علم النفس أن الهوية تتكون من أربعة أبعاد هي: التمايز، والأهمية، والانسجام الداخلي، وتقديم الذات. وينظرون للذات من جانبين: الأول باعتبارها عملية، والثانية باعتبارها بناء. وينصرف الجانب الأول إلى العمليات التي بواسطتها يحدد الفرد سلوكه الداخلي والخارجي، وينصرف الثاني إلى نظام المفاهيم المتاح للفرد في محاولة لتحديد ذاته. ويبدو أن الدراسات النفسية تنظر إلى الهوية باعتبارها عملية تهتم بدراسة ذات الفرد وتفاعله مع الآخرين. من خلال دور معين يقوم به داخل جماعة لها هويتها الثقافية والدينية. وفي ضوء سلطة عامه تحدد مجموعة من الأهداف التي تسير من خلالها حياة هذا المجتمع بكافة أبعادها.

المحدد الثاني: الهوية من المنظور الاجتماعي:

على الرغم من أن العديد من الدراسات الاجتماعية تتضمن جانباً نفسياً إلا أن الدراسات الاجتماعية تطرح هي الأخرى مفاهيم جديدة في موضوع الهوية. وتعرف الهوية عند علماء الاجتماع بأنها العضوية في المجتمع السياسي وتعنى بأنها مرتبطة بالسلوك الظاهري للإنسان وبمفهوم التعاون بين أفراد المجتمع، وعليه فإن الدراسات النفسية والاجتماعية تلتقي في منطقة «النحن» لا «الهم» فإن الأولى تولي الاهتمام بذات الفرد وتفاعله مع الآخرين، بينما يركز المنظور الاجتماعي على بعض العوامل الثقافية والتاريخية وتأثيرها المتعدد في منظومة القيم الاجتماعية⁽¹²⁾.

المحدد الثالث:

الهوية من المنظور السياسي الوطني:

إن الهوية كخطاب سياسي حديث الظهور بين الدول بعضها بعضاً، وبين الإثنيات المختلفة داخل الأمة الواحدة، ويعتبر «برهان غليون» أن ظهور خطاب الهوية القومية جاء بعد انهيار الخطاب القومي والأيدولوجيات القومية التقليدية، وحل مكان القومية بوصفها خطاباً يعطي للدولة شرعيتها. إن أزمة الهوية والإحساس بها تعد من القضايا المهمة في عملية بناء الدولة العصرية. فالقادة والشعوب تتناهم الحيرة حول ذلك التجاهل المتعمد بقيم وعادات وتقاليد وسلوك المجتمع وثقافته، وهو أمر مهم في عملية بناء أي دولة، لأنها تتعلق بالعاطفة الوطنية وشعور الناس بأنهم مرتبطون بعضهم البعض الآخر، كما أن الهوية تتعلق بمسألة الوحدة والتماسك الوطني الداخلي⁽¹³⁾.

إن الهوية القومية لمعظم الشعوب هي محصلة لعملية طويلة من التطور التاريخي تتضمن المفاهيم المشتركة، والخبرات المشتركة، واللغة المشتركة، والثقافة المشتركة، وغالباً الدين المشترك، وفي الفكر العربي تم تناول الهوية على أنها مجموعة من السمات العامة التي تميز شعباً أو أمة في مرحلة تاريخية معينة، أو بتعبير آخر هي ظاهرة تاريخية تعبر بها الأمة عن ذاتها أو أنها العملية التي بواسطتها تنتقي جماعة من الناس سمات معينة من ذخيرتها الثقافية في فترة زمنية محددة⁽¹⁴⁾.

وقد شهدت تشاد اتجاهات عدة حول مفهوم الهوية⁽¹⁵⁾:

الاتجاه الأول: أفريقي زنجي.

الاتجاه الثاني: قومي وطني.

الاتجاه الثالث: قومي وطني أفريقي.

الاتجاه الرابع: أفرو عربي.

الاتجاه الخامس: وطني تشادي.

الاتجاه السادس: وطني قومي أفريقي عربي.

الاتجاه السابع: وطني ديني إسلامي.

وفي ظل هذه الاتجاهات المختلفة وجد التشاديون أنفسهم في وقت من الأوقات أنهم لا يعرفون من هم؟ هل هم أفارقة؟ أم هم قوميون أفارقة؟ أم عرب أفارقة؟ أم أفارقة وعرب وقوميون ووطنيون؟ أم هم أساساً أفارقة وعرب ومسلمون؟. وفي هذا الإطار فقد تشكلت الدولة التشادية الحديثة من ثلاثة كيانات تاريخية وحضارية لها شخصيتها وتكوينها السياسي والاقتصادي

والاجتماعي والثقافي والديني متمثلاً في مملكة كانم- برنو الإسلامية ومملكة باقرمي الإسلامية ومملكة وداي العباسية الإسلامية، بينما كانت قبائل جنوب تشاد الإحيائية في شبه انعزال حضاري وديني عن الكيانات الثلاثة إلى أن توسعت مملكة باقرمي وضمت الجنوب التشادي إلى كيان مملكة باقرمي، وظل الجنوب التشادي بسحنته الأفريقية الزنجية وبتمسكه بمعتقداته الإحيائية القديمة، وبذلك برزت الدولة التشادية قبل بروز الأمة أو الهوية الموحدة، وهي تحمل في تاريخها وحضارتها ارث السلطنات والممالك القديمة ومفرداتها الثقافية والحضارية والدينية التي كانت قائمة في هذه الممالك⁽¹⁶⁾.

في ضوء هذه الاتجاهات المتعددة للهوية الوطنية في تشاد فإننا نقصد بهوية الأمة التشادية: مجموعة الخصائص الاجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد والأعراف والقيم والاتجاهات والمعايير الاجتماعية التي تحدد السلوك، وكذلك القيم الخلقية، والنظم الاقتصادية، التي تشكلت وترسخت في بنائه الاجتماعي بفضل تأثير اللغة العربية والثقافة الإسلامية ويتجلى ذلك في الآتي⁽¹⁷⁾:

1. اثر اللغة العربية في تشكيل النظام الاجتماعي للمجتمع التشادي.
 2. اثر اللغة العربية في صياغة النظام الديني في تشاد.
 3. أثر اللغة العربية في صياغة النظام الاقتصادي في تشاد.
 4. أثر اللغة العربية في بناء وتشكيل النظام السياسي والهوية الوطنية للشعب التشادي.
 5. أثر اللغة العربية في صياغة النظام القضائي والتشريعي في تشاد.
- وصفوة القول: إن اللغة العربية والثقافة الإسلامية تأثير واضح في معظم مكونات النظام الاجتماعي للمجتمع التشادي. وكان لهذا الأثر دوراً كبيراً في تكامل المجتمع التشادي وترابطه اجتماعياً وثقافياً وسياسياً.
- على الرغم من الاختلافات العرقية واللغوية والدينية والاجتماعية إلا أن اللغة العربية وما تحمله من قيم حضارية وإنسانية شكلت قوة تواصل واندماج بين مختلف فئات الشعب التشادي.

المحور الثالث:

عوامل بناء الهوية الوطنية التشادية:

هناك مجموعة من العوامل التي أسهمت في بناء الهوية الوطنية التشادية ومنها:

- البعد التاريخي الذي تمتعت به اللغة العربية قبل دخول الاستعمار الأوروبي الغربي الفرنسي الحديث لتشاد.
- البعد الحضاري والإنساني للثقافة العربية الإسلامية والتي شكلت

- عنصراً أساسياً من عناصر البناء الاجتماعي والثقافي والحضاري للإنسان التشادي.
- البعد الثقافي للغة العربية في تشاد باعتبارها أداة حافظت على التراث الثقافي المحلي وعملت على تطويره بما يتناسب ومعطيات الثقافة المحلية التشادية.
 - البعد الاجتماعي والذي تمثل في التصاهر الاجتماعي، والانتشار الكبير للقبائل العربية في مختلف الأقاليم والمناطق والأرياف والصحاري على طول امتداد الدولة التشادية أسهم في نشر وتعزيز اللغة العربية بين التشاديين.
 - البعد الاقتصادي للغة العربية في المجتمع التشادي، فهي لغة الشراء والبيع والتبادل التجاري بين جميع فئات وقبائل الشعب التشادي.
 - البعد السياسي للغة العربية في المجتمع التشادي، حيث أضحت لغة الإدارة والحكم في الممالك والسلطنات الإسلامية التي أقيمت في تشاد بدءاً بكانم برنو، وباقرمي ووداي.
 - البعد الديني من خلال الإسلام و انتشار ثقافته وحضارته بين مختلف المكونات الاجتماعية وأثر ذلك في بناء الهوية الوطنية التشادية.
 - البعد التعليمي والدعوى والذي تجلى من خلال نشاط العلماء والمشايخ والدعاة والطرق الصوفية، وأثر ذلك في بناء الهوية الوطنية التشادية. (18)
 - البعد الإبداعي للغة العربية في تشاد، وتجلى من خلال إبداعات الشعراء التشاديين سواء باللغة العربية الفصحى أو اللغة العربية الدارجة، وبذلك فإن اللغة العربية عبرت عن متطلبات المجتمع واحتياجاته المادية والعقلية والروحية والوجدانية في واقع حياة المجتمع التشادي. (19)
- ونظراً لهذا الدور الكبير للغة العربية، فقد اعترفت الإدارة الفرنسية الاستعمارية بحقيقة اللغة العربية وبعدها الثقافي والتعليمي والاجتماعي و التجاري والحضاري في تشاد، حيث استقبلت العديد من الرسائل باللغة العربية، فضلاً عن إصدار لجريدة عربية هي جريدة «كوكب الشرق». ولذا فقد شكلت اللغة العربية عاملاً مهماً من عوامل بناء الهوية الوطنية التشادية، باعتبارها تمثل إرثاً حضارياً وثقافياً واجتماعياً للأمة التشادية.

والجدير بالذكر فإن من أبرز مكونات المجتمع التشادي الثقافية والحضارية والفكرية والسياسية هي الثقافة العربية التي تعد الركيزة الأساسية لتكوينه الفكري والسياسي والعقدي.

وخير دليل على ذلك اعتراف الدولة التشادية المعاصرة وإقرارها رسمياً في دستورها عام 1996 والذي جاء فيه أن اللغة الرسمية للدولة التشادية المعاصرة هي اللغة العربية والفرنسية.

كما أن أثر الثقافة العربية تجده ظاهراً حتى في إطار الصفوة المثقفة باللغة الفرنسية، حيث أنه بالرغم من سيطرة اللغة الفرنسية على الدوائر الحكومية والأوراق الرسمية بالدولة التشادية المعاصرة، إلا أنه لوحظ أن أغلب الحديث في هذه المكاتب الحكومية يتم باللغة العربية، وهذا مؤشر قوي يمنحنا ثقة كبيرة في مدى قدرة اللغة العربية وثقافتها في مقاومة التأثير الفرنسي في واقع الحياة العامة في تشاد.⁽²⁰⁾

المحور الرابع:

مكونات الهوية الوطنية:

تتكون الهوية الوطنية من العناصر التالية:

أولاً: المكون الإقليمي الوطني للهوية: يؤدي الإقليم أو الوطن الذي نشأ فيه الإنسان وترعرع دوراً مهماً في استكمال مقوماته الوطنية والحياتية، لأنه لا يمكن لأية جماعة وطنية أن تعيش بلا إقليم أو وطن، فكلما كان الإقليم موحداً وأكثر تماسكاً، ساعد ذلك على إقامة علاقات أوثق بين أعضاء الجماعة الوطنية الواحدة، وتعد الوحدة الإقليمية للدولة عاملاً لا غنى عنه في تحديد أبعاد وهوية الجماعة إزاء الغير من الجماعات الوطنية الأخرى. ويمكن القول إنه حينما يتقاطع الإحساس بالهوية المحلية، معززاً بإدراك لغة خاصة بالإقليم وعقيدة خاصة تكون سلطة الدولة المركزية مستجيبة لهذه التقاطعات الوطنية، فإن إمكانية إقامة هوية وطنية لهذا الأقاليم واردة في مثل هذه الظروف، ومن حق السلطة السياسية الاستجابة لمتطلبات الهوية الإقليمية والوطنية لهذا الشعب، وإلا فإن إمكانية انفصاله واردة على المدى البعيد أو القريب.

ثانياً: المكون الثقافي للهوية: يشغل البعد الثقافي للهوية مكانة بارزة في تحديد هوية المجتمعات وتأتي هذه المكانة من داخل هذا البعد في جوانب كثيرة مع أبعاد الهوية الأخرى. ومع صعوبة تحديد إطار مفهومي للثقافة لسعة مدلول الكلمة وشمولها فإنه يمكن التأكيد على ما يتضمنه هذا المدلول من قيم ومعتقدات ومعايير مشتركة مكتسبة بين أعضاء الجماعة

الوطنية. فضلاً عما يشتمل عليه المدلول من عادات وأعراف وأخلاق وطبائع وتغيرات وملبس ومأكل ومشرب. (21) ويمثل النسق الثقافي بناء إدراكنا لتفسير وتأويل العالم المحيط، كما ترتبط الهوية الثقافية بقيم الجماعة ونطاقها القيمي أو نسقها الثقافي في مواجهة الآخر، والهوية الثقافية هي الذاكرة الجماعية التي تبدأ نواتها الأولى بالأسرة. (22) وتعمل الهوية الثقافية على إحياء الظاهرة الخاصة بالتكامل وتحديد الأدوار الخاصة كما توضح العلاقة بين الإنسان ومحيطه الثقافي وهي الصورة التي يكتسبها الفرد عن نفسه رداً على سؤال من أكون؟ وترتبط الهوية الثقافية بمشكلة التنمية السياسية؟ فلا تنمية سياسية أو اقتصادية من دون ثقافة وطنية متجذرة، وتشكل الهوية العربية في تشاد أهم عامل لبناء الهوية الثقافية والحضارية للأمة التشادية.

ثالثاً: المكون الاجتماعي للهوية: فالجماعة الاجتماعية والعرفية بأنها جماعة لها سمة خاصة تتصف بها من خلال العرف أو الثقافة أو الدين أو غير ذلك. يشهد العالم منذ انهيار الاتحاد السوفيتي سابقاً (1989-1990) ما يمكن تسميته بثورة الأقليات والجماعات الإثنية والاجتماعية والتي تم دمجها بقوة النار والحديد دون وجود أي رابط ثقافي أو اجتماعي أو عقدي، فالهوية السياسية وحدها لا يمكن أن تضمن التماسك الداخلي للأمة. وهكذا شاع في الأدبيات السياسية استخدام مصطلح مثل «الوعي الإثني» أو «التأسيس الإثني» أو الوطنية الإثنية» أو الحقوق الإثنية للأقليات» وهكذا يبدو البعد الإثني في الهوية مزيجاً من العناصر الاجتماعية والنفسية والثقافية ذات التفاعل مع التقاليد والتوجهات الاجتماعية الخاصة بالمكانة والدور والحقائق الاقتصادية والسياسية وبالتالي إلى الاعتماد على الجانب الإثني والعرق في الهوية. (23)

رابعاً: المكون السياسي للهوية: لقد اهتمت الدراسات المتعلقة بالهوية بالبعد السياسي الذي يعبر عنه بالهوية القومية أو الوطنية التي يشعر بها الفرد منذ نشأته الأولى في أسرته من خلال العلاقة الأبوية، فهي هوية تبدأ فردية وتنتهي كهوية اجتماعية، ويشير البعد السياسي إلى تصنيف آخر للهوية. ينطلق من مدى شموليتها الإطار الوطني القومي أو قصورها عنه، وهناك علاقة وثيقة بين القومية والهوية، فيتحدد نوع الأزمة التي يواجهها المجتمع بنوع الهوية المنشودة، فإذا كان المجتمع يواجه القومية الوطنية. فإن الهوية المطلوبة تكون هوية وطنية. وإذا كانت الأزمة المثارة في إطار المجتمع فهي أزمة اجتماعية، فإن الهوية المثارة تكون

هوية اجتماعية. وأزمة الهوية هي نوع من الأزمات السياسية المرتبطة أساساً بالمجتمعات الحديثة والتي ضرب الاستعمار بناءها الداخلي الثقافي والفكري والعقدي وجعلها تتخبط بين أي الاتجاهات تسير. الوطنية؟ أم القومية؟ أم العرقية؟. ولكن السؤال المطروح عندنا ما أبرز تجليات أزمة الهوية على الصعيد القومي التشادي؟⁽²⁴⁾

تأسيساً على ما سبق وبالذات فيما يتعلق بأبعاد الهوية الوطنية، فإن السلطة السياسية المعاصرة تقوم بدور كبير في استخدام العديد من مفردات خطابها السياسي والذي يتبنى خطوطاً متباينة ومتداخلة ولم يعط حدوداً فاصلة للهوية الوطنية التشادية، هل هي هوية أفريقية؟ أم عربية؟ أم خليط من الهويات شكلت عبر التاريخ تراثاً موحداً للأمة التشادية.

فالدستور التشادي يشير في ديباجته أن الشعب التشادي يؤكد عبر هذا الدستور عن إرادته في العيش سوياً في إطار احترام التنوعات العرقية، والدينية، والإقليمية والثقافية، .. وعلى قيم التضامن والإخوة الأفريقية. فعندما نقرأ هذه الديباجة تؤكد على التنوع الثقافي والعرقى واللغوي والديني في تشاد. كما تشير على أهمية الأخوة الأفريقية أي على أهمية التأكيد على الهوية الأفريقية للدولة التشادية.

وانطلاقاً من هذا فإننا سنعالج نقطتان في هذا الموضوع.

الأولى: هل تشاد ذات هوية عربية أم إسلامية؟

لمناقشة وتحليل أوجه الثنائية يبدو من الضروري تحديد بعض

المفاهيم.

فالهوية العربية في الخطاب النهضوي المعاصر: تعبر عن تلك القناعة بوجود أمة عربية واحدة تتوافر لها كل المقومات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، ولها هوية قومية واحدة هي العروبة، ولها هوية رسمية أو قطرية أو وطنية بعدد دول الجامعة العربية، أما الهوية الإسلامية فتتعلق من منظور أن الإسلام يشكل هوية مستقلة وبنية قائمة بذاتها للمسلمين وعلى أساس من هذه الهوية قامت الدولة الإسلامية في العهد النبوي والراشدي.

إن العروبة سواء بالمعنى الذي تعطيها المرجعية التراثية أو الذي تلبسها إياه المرجعية النهضوية شيء، والإسلام بمختلف المضامين التي تعطي له شيء آخر، فلا معنى أن يوضع سكان تشاد من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربها أمام الاختيار بين أن يكونوا عرباً أو يكونوا مسلمين، إنهم جميعاً عرب عربيون لا بالفصاحة ولا بالنسب بل باللغة والثقافة والتاريخ والجغرافيا والمصير الواحد والمصالح المشتركة، كلهم عرباً أو مستعربون، أو مسلمون وهم

الأغلبية، إذن هم أقرب إلى العروبة بمضمونها الحضاري والثقافي من أية هوية أخرى يروج لها الأعداء.

أما النقطة الثانية في الموضوع فتقودنا إلى التساؤل التالي، هل تشاد ذات هوية عربية أم أفريقية؟

أولاً: تشاد ذات هوية أفريقية؟

فما هي منطلقات الهوية الأفريقية؟ إن الهوية الأفريقية تأخذ منطلقاتها من العامل الجغرافي، وتعود في أديباتها الخاصة إلى فلسفة الزنوجة التي اكتسبت أهمية خاصة مع «ليوبولد سنغور»، ثم تحول اليأس في بحث الأفارقة عن الذات إلى حركة جغرافية سياسية ثقافية شاملة موحدة للقارة في شكل البحث عن الهوية والشخصية الأفريقية مع نكروما، وتطورها إلى الحركة الأفريقية «Africanism».

ثم الجامعة الأفريقية «PanAfrican» مع نكروما نفسه وموديبوكيتاوسيكوتوري.⁽²⁵⁾ وقد كانت فكرة الزنوجة ردة فعل على الاستعمار الغربي وتجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي.

أما الهوية العربية الأفريقية فهي تنطلق من العلاقة التاريخية والجغرافية بين العرب والأفارقة فهي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ معززة بالجغرافيا والتاريخ وتؤكدت هذه العلاقة مع بزوغ فجر الإسلام وهجرة الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى الحبشة وانتشار الفتوحات الإسلامية، وتوسع الهجرات العربية إلى داخل القارة الأفريقية وامتزاج الدم العربي بالدم الأفريقي وتكونت بذلك عبر التاريخ أمة أفريقية عربية واحدة من حيث التاريخ والجغرافيا والحضارة واللغة والثقافة والدين⁽²⁶⁾.

ومع بداية العصر الحديث وتدهور أحوال أفريقيا ووقوعها ضمن السيطرة الاستعمارية الغربية، مما أدى إلى ضعف وتضاؤل تأثيرات الثقافة العربية، وواكب ذلك أيضاً نشر الثقافة الفرنسية وفلسفتها النصرانية، وتشجيع اللهجات الوطنية والإثنيات من أجل إحداث الصراع العرقي في أفريقيا، حيث أن الثقافة العربية بأبعادها المتنوعة شكلت الإطار الوطني والقيمي والمصري للأمة التشادية، ولذا فليس هنا تناقض أو صراع بين الهوية الأفريقية والعربية في تشاد بل هي التلاقي والانسجام والتطور.

المحور الخامس:

أثر اللغة العربية في صياغة الهوية الوطنية، وفي بناء علاقات الشعب التشادي الداخلية والخارجية:

إن للغة العربية دوراً كبيراً ومحورياً وأساسياً في بناء وصياغة الهوية الوطنية التشادية وفي بناء العلاقات الداخلية والخارجية للشعب التشادي.

ويظهر ذلك من خلال الجوانب التالية:⁽²⁷⁾

1. القيمة الحضارية والإنسانية والدينية والاجتماعية و الحياتية والفكرية التي تميزت بها اللغة العربية في تشاد، وهي القيم التي كانت حاجة ملحة وضرورية للمجتمعات الأفريقية عموماً والمجتمع التشادي على وجه الخصوص، والتي انطلقت من قيم الأخوة والتسامح و التعايش والتعاون والتضامن والتكافل، مما كان له الأثر المباشر في القضاء على الصراعات القبلية والمنازعات الشخصية التي كانت سائدة في البيئة الأفريقية المحلية قبيل دخول الثقافة العربية الإسلامية إلى منطقة جنوب الصحراء الأفريقية.
2. الدور الذي قامت به الثقافة العربية من خلال إعادة الاعتبار للتاريخ التشادي الوطني من خلال نقله من سجن الرواية الشفوية إلى التوثيق بلغة مكتوبة غنية في مفرداتها وتعبيرها، ومرتبطة بحضارة إنسانية كونية ومنفتحة على الثقافات والحضارات الأخرى.
3. المساهمة الحضارية والإنسانية للثقافة العربية في تشاد من خلال إنشاء المؤسسات الثقافية والحضارية التي كان لها الأثر في بناء وصياغة الهوية الوطنية التشادية .
4. أسهمت اللغة العربية من خلال بناء علاقات حميمة وقوية وراسخة بين الثقافة العربية و الثقافة الأفريقية من جهة ، والثقافة المحلية التشادية من جهة أخرى، مما شكل مظاهر حضارية وإنسانية إيجابية لصالح بناء الهوية الوطنية في تشاد.
5. عملت اللغة العربية في تشاد في بناء العلاقات الداخلية والخارجية للشعب التشادي، من خلال ما أوجدته الثقافة العربية من آليات التقارب والتمازج والتعايش والتضامن بين مختلف المكونات الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجتمع التشادي المعاصر.
6. شكلت اللغة العربية في تشاد مصدر فخر وانتماء حضاري واجتماعي لمعظم المكونات الاجتماعية التشادية والتي أضحت اللغة العربية بالنسبة لها هوية وطنية وقومية.
7. أسهمت اللغة العربية في تشاد في تقوية وتعزيز العلاقات السياسية بين تشاد والعالم العربي والإسلامي من خلال التأثير على توجهات دولة تشاد الحديثة والمعاصرة من القضايا العربية والإسلامية المصرية وفي مقدمتها قضية فلسطين وحقوق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته وعاصمتها القدس الشريف.

8. وقوع تشاد بالقرب من الدول العربية والإسلامية، مما شكل ذلك عامل تأثير وتأثر للغة العربية في المجتمع التشادي وعلى التوجهات السياسية للدولة التشادية تجاه قضايا العالم العربي والإسلامي. (28)
9. وفي حرب 1967 تبلورت الضغوطات الشعبية والسياسة على الحكومة التشادية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، مما أجبر الحكومة التشادية على تأييد القرار الصادر من مجلس الأمن بشأن أزمة الشرق الأوسط يوم 22 نوفمبر 1967م، بل تعدى إلى المساندة الفعلية، ففي 27 نوفمبر 1972، قطعت تشاد علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية والفنية مع إسرائيل ومغادرة جميع الإسرائيليين الذين كانوا في تشاد.
10. استجابة للتوجهات الشعبية المساندة للشعوب العربية والإسلامية، فقد استقبلت العاصمة التشادية أنجمينا عام 1973 العديد من المسؤولين العرب وفي مقدمتهم المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية، والرئيس السوداني جعفر النميري، والعقيد معمر القذافي قائد الثورة الليبية، وعدد من وزراء الخارجية العرب.
11. و أثناء حرب أكتوبر 1972 بين العرب وإسرائيل فقط برز دور الدولة التشادية في دعم العرب من خلال تأثير الثقافة العربية وتوجهاتها على القرارات السياسية للدولة التشادية الحديثة.
12. إن الشعب التشادي، وانطلاقاً من تأثيرات الثقافة العربية والإسلامية في تفكيره وفي اتجاهاته الوطنية، فقد شارك في معركة المصير المشترك، إلى جانب أشقائه العرب المسلمين. وإن الشعب التشادي هو في الحقيقة جزء لا يتجزأ عن العالم العربي والإسلامي وهو امتداد طبيعي للعالم العربي والإسلامي في منطقة أفريقيا جنوب الصحراء. (29)

الخاتمة:

يتضح لنا مما سبق تناوله في الصفحات الماضية أن الهوية الوطنية في عالم اليوم الذي يتميز بسرعة وسائل الاتصال وتطورها وتنوعها ليست بالضرورة أحادية الجانب بل متعددة الأبعاد والتقاطعات والمصالح، وأن أزمة الهوية أزمة شبه دائمة في المجتمعات وليس مجتمعاً بعينه فما بالك بمجتمع مثل المجتمع التشادي مجتمع متعدد الأعراق والثقافات والأديان والاتجاهات المتنوعة؟.

إن الصياغة الناجحة للهوية الوطنية اليوم لا تكمن في التناحر والاختلاف بل في المزج والتوفيق بين مكونات الهوية المختلفة، تكوين يمزج بين جميع هذه الأبعاد المكونة للهوية التشادية وهي التكوين الثقافي العربي والأفريقي والديني والتراث المحلي، وهو ما أكده الدستور التشادي في ديباجته وإن كان بشكل خجول وغير متزن مع حقائق مكونات الأمة التشادية التي تتسع لتشمل جميع عناصر البناء والوحدة والتضامن فيما بين فئاته ومكوناته. إن الجدل حول الهوية لا يخص تشاد وحدها وإنما جميع المجتمعات النامية والمتقدمة على حد سواء، بمعنى أن أزمة الهوية أزمة شبه دائمة في المجتمعات وتصلح لأن تكون معياراً لتصنيف هذه المجتمعات، ولكن الفرق يكمن في تخطي عنق الزجاجة في موضوع الهوية لأن الدول المتقدمة استطاعت الوصول إلى أساليب معينة لإدارة الصراع بين الأبعاد المختلفة للهوية، حيث تمكنت من دمج مختلف العناصر في الثوابت الوطنية، ونأمل أن تشكل أبعاد الهوية الوطنية بأبعادها المتنوعة رصيماً حضارياً وثقافياً للأمة التشادية المعاصرة.

وفي خاتمة هذا البحث نخلص إلى النتائج الآتية:

1. إن فهم الهوية الحقيقية لا تكمن في الإقصاء والجمود والإحلال بل يكمن في المزج والتوفيق والانسجام والتواصل بين المكونات المختلفة للهوية وأن أثر اللغة العربية في بناء الهوية الوطنية التشادية ظاهر للعيان.
2. إن الهوية الوطنية في عالم اليوم تتأثر بوسائل الاتصال وتطورها مما أوجد ثقافة أو هوية متوازية تتحدى مكونات الهوية الوطنية ومنطلقاتها.
3. إن الهوية لمعظم الشعوب هي محصلة لعملية طويلة من التطور التاريخي يتضمن المفاهيم المشتركة، واللغة المشتركة، والثقافة المشتركة، وغالباً الدين المشترك وهذا ما يلاحظ في مجتمعاتنا التشادية.
4. إن اللغة العربية في تشاد هي لغة الثقافة الوطنية التشادية باعتبارها أكبر اللغات الوطنية استخداماً وحضوراً في الواقع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، مما منحها أن تشكل عنصراً مهماً وأساسياً في بناء الهوية الوطنية التشادية.
5. شكل التواصل الإنساني والاجتماعي للغة العربية و المكونات الثقافية المحلية التشادية مظاهر حضارية إنسانية إيجابية في تشكيل الهوية الوطنية التشادية بأبعادها الحضارية المتنوعة.

6. شكل التواصل الحضاري والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي بين اللغة العربية ومكونات الشعب التشادي الثقافية عبر التاريخ إرثاً حضارياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً في المجتمع التشادي.
7. إن انتماء الشعب التشادي إلى الهوية العربية الإسلامية هو انتماؤه للتاريخ والحضارة والثقافة والجغرافيا.
8. إن تخويف الشعوب الأفريقية والشعب التشادي على وجه الخصوص من العروبة، وعدم تحديد معيار واضح لمضمون العروبة والخلط بينها وبين الإسلام، وجعل العروبة كياناً قومياً عرقياً للعرب وحدهم، وتفريخ مضمون العروبة من مفهومه الحضاري والثقافي العام الذي يحتوي الفكر والثقافة والدين والحضارة.
9. إن انتماء تشاد إلى الهوية العربية الإسلامية هو انتماء للتاريخ وللحضارة وللجغرافيا وللمصير المشترك، وشكل هذا الانتماء عبر التاريخ هوية الأمة التشادية ومصيرها ومستقبلها وحاضرها.

التوصيات:

1. العمل على دعم وتعزيز اللغة العربية في تشاد من خلال دعم مؤسسات اللغة العربية فيها من مدارس ومعاهد وجامعات وخلاوي لتحفيظ القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.
2. العمل على دعم وتعزيز اللغة العربية في تشاد باعتبارها إحدى الأدوات المعززة للهوية الوطنية التشادية.
3. العمل على تشجيع وتطوير العلاقات بين تشاد والدول العربية والإسلامية بحكم الجوار والتاريخ والثقافة والدين.
4. دعوة المثقفين والأكاديميين والباحثين في الدول العربية والإسلامية على دعم مسيرة اللغة العربية في تشاد وتشجيع برامج الدولة التشادية في إطار سياستها الرامية نحو تطبيق الازدواجية اللغوية في مختلف مؤسسات الدولة التشادية (عربي فرنسي).
5. دعوة رجال الأعمال من الدول العربية والإسلامية على دعم الدولة التشادية مادياً وفكرياً في برامج تعزيز اللغة العربية في الدوائر الحكومية التشادية.
6. العمل على دعم برامج الازدواجية اللغوية في تشاد من قبل الصناديق التنموية العربية والإسلامية المختلفة.
7. إعطاء منح للدراسات بالجامعات العربية والإسلامية للطلبة الشاديين في مرحلتي الدراسة الجامعية والعليا.
8. التواصل مع أكاديمية التربية بالشرق حول القيام بتنظيم المؤتمرات العلمية التي تتناول قضايا العلاقات العربية التشادية ودور اللغة العربية في المجتمع التشادي وتوفير الدعم المادي من

- أجل القيام بالدراسات والبحوث المشتركة حول واقع اللغة العربية والثقافة العربية في تشاد.
9. فتح المجال أمام الباحثين الشاديين المثقفين باللغة العربية للكتابة في المجالات العلمية المحكمة بالجامعات العربية والإسلامية.
10. فتح المجال للأساتذة والباحثين الشاديين للعمل في الجامعات العربية والإسلامية من أجل تبادل الخبرات والمعارف.
11. دعوة رؤساء الجامعات ومراكز البحوث بالدول العربية والإسلامية لزيارة مؤسسات التعليم العالي والوقوف حول الجهود المبذولة تجاه اللغة العربية في تشاد والتعرف على واقع اللغة العربية في وسط المجتمع التشادي.
12. المساعدة في نشر وطباعة البحوث والكتب التي تكتب باللغة العربية في مجال الثقافة العربية الإسلامية والحضارة الإسلامية والأدب العربي في تشاد.
13. دعوة المثقفين والأكاديميين والباحثين على دراسة التاريخ التشادي برؤية وطنية شاملة تسهم في تعزيز التواصل الثقافي والاجتماعي بين جميع مكونات المجتمع التشادي.
14. التأكيد على أن تشاد تمثل بوتقة حضارية وإنسانية لجميع الشعوب والأعراق التي سكنت فيها عبر التاريخ.
15. التأكيد على القيم والمبادئ التي قامت عليها السلطنات والممالك الإسلامية التشادية والتي كانت نموذجا لتأكيد الهوية الوطنية وبناء العلاقات الإنسانية من خلال التصاهر الاجتماعي والتواصل الثقافي والحضاري وتعزيز قيم التعايش الاجتماعي والثقافي بين جميع مكونات المجتمع في تشاد.
16. محاربة الدعوات الهدامة القائمة على فكرة الإقصاء والانتقائية والتشكيك بحقائق التاريخ والواقع والأفكار التي تدعو إلى الكراهية والعنف والتحريض والتمرد على قيم المجتمع الداعية إلى الوحدة والتضامن والتعايش بين جميع مكونات المجتمع التشادي.
17. أن من أعظم وسائل الوحدة الوطنية وبناء العلاقات بين جميع مكونات الشعب التشادي هي اللغة العربية التي مثلت عبر التاريخ أداة للتواصل والتفاهم والتعايش بين جميع قبائل وفئات وأعيان المجتمع التشادي.
18. العمل على تكوين فرق علمية وبحثية من المثقفين والأكاديميين الشاديين لوضع برامج ومناهج تؤكد على الانتماء الوطني وتعزيز قيم التواصل والتعايش والتفاهم والتضامن بين جميع أفراد الشعب التشادي.

المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع:

- (1) عز الدين موسى: الإسلام وإفريقيا، مكتبة النهضة، لبنان - بيروت، ط1، 1995م.
- (2) نديم البيطار: دور النظرية الثورية، معهد الأبحاث العربية، بيروت - لبنان، ط1، 1985م.
- (3) فاروق يوسف أحمد: مصر والعالم العربي، مطبعة عين شمس، القاهرة، 1979م.
- (4) فضل كلود الدكو: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم من 600 - 1000هـ، الموافق 1200 - 1600م، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس - ليبيا، ط1، 1998م.
- (5) خيرية ميلاد: أثر الثقافة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء، مركز دراسات أبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس - ليبيا، 2004م.
- (6) عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط1، 1984م.
- (7) صلاح عمر الصادق: دراسات سودانية في الآثار والفلكلور والتاريخ، دار عزة، الخرطوم - السودان، 2006م.
- (8) عبد الغفار محمد أحمد: السودان بين العروبة والأفريقية، مركز البحوث العربية للدراسات والتوثيق والنشر، مصر، 1995م.
- (9) سناء مبروك: الهوية والانتماء الاجتماعي في شمال سيناء، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة - مصر، 1990م.

ثانياً: الرسائل العلمية والبحوث:

- (1) أميمة مصطفى عبود: قضية الهوية في مصر في السبعينات، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1993م، مصر، رسالة غير منشورة.
- (2) سليمان عبد العزيز عالم: النزاعات المسلحة في تشاد في الفترة (1960 - 1990م)، رسالة ماجستير، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم - السودان، 2000م، رسالة غير منشورة.
- (3) صابون محمد راشد: العلاقات التشادية العربية (1960 - 1993م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1990م.
- (4) الطيب إدريس حلولو: التحديات التي تواجه المدارس العربية في تشاد، بحث مقدم في الندوة العلمية والدولية حول: التعليم العربي الإسلامي وأثره في

- التنمية في إفريقيا، جامعة الملك فيصل بتشاد، 2004م، بحث غير منشور.
- (5) الطيب إدريس حلولو: اللغة العربية في تشاد بين الرغبة الشعبية والرفض الرسمي، بحث مقدم في الندوة الدولية حول: اللغة العربية الواقع والمستقبل، منشور من قبل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس - ليبيا، ط1، 2003م.
- (6) الطيب إدريس حلولو: الثقافة العربية الإفريقية نموذج تشاد، بحث قدم في الندوة الدولية حول: الثقافة العربية الإفريقية في مواجهة التحديات، سبها - ليبيا، بحث غير منشور، 2006م.
- (7) الطيب إدريس حلولو: التكوين الثقافي وأثره على الاتجاه السياسي في تشاد بعد الاستقلال (1960 - 2000م)، رسالة دكتوراه، جامعة الملك فيصل بتشاد، 2012م، رسالة غير منشورة.
- (8) محمد زايد بركة: مستقبل اللغة العربية في تشاد، بحث مقدم في الندوة الدولية حول: اللغة العربية الواقع والمستقبل، منشور من قبل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس - ليبيا، ط1، 2003م.
- (9) فضل كلود الكو: أثر اللغة العربية على الأمة التشادية، بحث مقدم في الندوة الدولية حول: اللغة العربية الواقع والمستقبل، منشور من قبل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس - ليبيا، ط1، 2003م.
- (10) حبيب أبرص: العرب في تشاد، بحث أعد في أنساب القبائل العربية في تشاد، غير منشور.

ثالثاً: الدوريات والمجلات العلمية:

- (1) نديم البيطار: مفهوم الهوية القومية والمستقبل العربي، مجلة الفكر العربي، السنة 3، العدد 13، أكتوبر 1980م.
- (2) شفيق الغبراء: الاثنية المسيية، الأدبيات والمفاهيم، الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، السنة 6، العدد 3، 1980م.
- (3) برهان غليون: الهوية هل هي علة؟، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 17، كانون الأول / ديسمبر، 1980م، بيروت - لبنان.
- (4) عبد الله حمدنا الله: اللغة العربية في تشاد لغة إبداع، مجلة دراسات إفريقية، العدد 25، السنة 13 يونيو 2000م، الخرطوم - السودان.
- (5) محمد صالح أيوب: مكانة اللغة العربية في المجتمع التشادي، مجلة دراسات إفريقية، العدد 14، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم - السودان.
- (6) الطيب إدريس حلولو: أثر التكوين الثقافي العربي في بناء علاقات الشعب التشادي الداخلية والخارجية، مجلة تشاد المعاصرة، مجلة علمية محكمة نصف سنوية، تصدر عن المركز العلمي للدراسات والبحوث التابع للمعهد العالي للاتصالات بجمه ورية تشاد، العدد الأول، 2015م.

المصادر والمراجع:

- (1) الطيب إدريس حلولو، «نماذج من الثقافة العربية الأفريقية نموذج تشاد»، (منشور، الندوة الدولية حول الثقافة العربية الأفريقية في مواجهة التحديات الراهنة، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، سبها، 2006)، ص 30.
- (2) سليمان عبد العزيز عالم، «النزاعات المسلحة في تشاد في الفترة من 1960 - 1990» (رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، السودان، 2000) ص 113.
- (3) الطيب إدريس حلولو، «التكوين الثقافي وأثره على الاتجاه السياسي في تشاد بعد الاستقلال 1960 - 2000م»، (رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الملك فيصل بتشاد، 2012م) 101 - 102.
- (4) د. فضل كلود، أثر اللغة العربية على الأمة التشادية، (منشور، ندوة اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل؛ منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية؛ طرابلس؛ الجماهيرية؛ 2003) ص 88 - 89.
- (5) الطيب إدريس حلولو، «الثقافة العربية الأفريقية نموذج تشاد» (مرجع سابق) ص 5.
- (6) د. عبد العزيز الدوري، «التكوين التاريخي للأمة العربية»، (ط1؛ بيروت؛ مركز دراسات الوحدة العربية؛ 1984)، ص 234.
- (7) د. عبد العزيز الدوري، (المرجع السابق)، ص 236.
- (8) د. محمد زايد بركة، «مستقبل اللغة العربية في تشاد»، (ندوة اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل؛ منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية؛ طرابلس؛ الجماهيرية؛ ط1؛ 2003) ص 814.
- (9) د. محمد زايد بركة؛ المرجع نفسه، ص 816.
- (10) برهان غليون، «الهوية هل هي علة؟»، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، العدد 17، كانون الأول / ديسمبر 1981)، ص 114.
- (11) أميمة مصطفى عبود، قضية الهوية في مصر في السبعينيات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1993م، ص 98.
- (12) أميمة مصطفى عبود، مرجع سبق ذكره، ص 98.
- (13) نديم البيطار: «مفهوم الهوية القومية والمستقبل العربي»، مجلة الفكر العربي، بيروت، لبنان، العدد 13، السنة 3، أكتوبر، 1980) ص 10.

- (14) المرجع نفسه، ص 14.
- (15) الطيب إدريس حلولو، «أثر التكوين الثقافي العربي في بناء علاقات الشعب التشادي الداخلية والخارجية»، مجلة تشاد المعاصرة، (أنجمينا، المركز العلمي للدراسات والبحوث التابع للمعهد العالي للاتصالات والتقنية، العدد الأول، يناير، 2015) ص: 15-17.
- (16) فاروق يوسف أحمد، مصر والعالم العربي، (القاهرة، مكتبة عين شمس، 1979)، ص 56.
- (17) الطيب إدريس حلولو، «أثر التكوين الثقافي العربي في بناء علاقات الشعب التشادي الداخلية والخارجية»، مرجع سابق، ص: 20-21
- (18) الطيب إدريس حلولو: «التحديات التي تواجه المدارس العربية في تشاد»، (غير منشور؛ الندوة العلمية الدولية حول التعليم العربي الإسلامي وأثره في التنمية في أفريقيا؛ جامعة الملك فيصل تشاد؛ 2004)، ص 8.
- (19) د. عبد الله حمدنا الله، «اللغة العربية في تشاد لغة إبداع»، مجلة دراسات أفريقية (الخرطوم: العدد 25، السنة 13، يونيو 2000)، ص 145-146.
- (20) د. محمد صالح أيوب، «مكانة اللغة العربية في المجتمع التشادي»، مجلة دراسات أفريقية (الخرطوم: العدد 14، يناير 1996)، ص 137.
- (21) أميمة مصطفى عبود، «قضية الهوية في مصر في السبعينيات» مرجع سابق، ص 100.
- (22) شفيق الفيرا، «الإثنية المسيسة الأدبيات- والمفاهيم»، مجلة العلوم الاجتماعية «الكويت؛ جامعة الكويت، السنة 6، العدد 3، 1988) ص 48.
- (23) المرجع نفسه، ص 50.
- (24) الطيب إدريس حلولو: أثر التكوين الثقافي العربي، مرجع سابق، ص 120
- (25) عز الدين موسى، «الإسلام وأفريقيا والهوية»، (ط1، بيروت، لبنان، مكتبة النهضة، 1995)، ص 20.
- (26) سناء مبروك: «الهوية والانتماء الاجتماعي في شمال سيناء»، (القاهرة، مصر، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 1990)، ص 218-220
- (27) خيرية ميلاد، «أثر الثقافة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء»، (ط1، طرابلس، مركز دراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، 2004)، ص 16

- (28) صابون محمد راشد: «العلاقات التشادية - العربية 1960-1993» (رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدولة العربية، القاهرة، مصر، 1990)، ص 60-63.
- (29) صابون محمد راشد: العلاقات التشادية العربية، مرجع سابق، ص 84-86.